

شجرة .. ومخوض

قصة بقلم فهد الأسدي

حتى ضحكاتي كانت تخرج مكتومة عندما قالوا : بأن المعجوز المجنونة اتخذت من « حمزة » - قصاب قريتنا الوحيد - مطية فلعبت على ظهره طول الليل ، عندما سطا ليسرق طابوقات من حديقة المدير .

كما وان جارتنا « أم صبار » ذكرت لامي انها سمعت ليلة ذكرى مقتل الامام العباس صوت نسوة يلطمن وينحن في حديقة المدير ، وعندما شقت في الجدار تقبا لتبصر لم تجد اثرا للنسوة النائحات . وقد أيدتها أُمي : بأنهن جنيات لا يبصرهن انسان . ولم يكف لسان أم صبار عن سرد الغرائب عن شجرة النبق هذه . وأثناء ذلك أعادت أُمي من الشيطان عدة مرات .

وبعدها أصبحت مجموعة من التمانم تطوق عتقي باحكام ! وتعلمت قراءة « قصار السور » والتهاويد كلما مررت بسياج الحديقة القصبي .

وفي وقتها بدأ يرتفع رصيد « الشيخ حمد الله » المدخر عند « الحاج صالح » من كتابة التهاويد اذ رأيتني لست الوحيد الذي يتوء بحمل هذه التمانم ، بل شاركني بذلك جميع الصبية الابرياء في قريتي . وعندما أبلفت للشيخ حمد الله سخريه مملنا « طاهر » من هذه الافكار ، امتنع لونه غضبا ، وأنذر وتوعد ، وجرى « مداسه » وهدد به كل من لا يقول : بأن الشجرة « علوية » وبأن « الكاع واجفسة على جرن ثور » ..

وضحكت - بنكنم - من حالة « الشيخ » وهو يدور لسانه ويزلق كلماته بنحذلق !

وتعلمت امام فكري علامات استفهام مبهمه .. غامضة كالليل الذي أخاف عقارينه وأرواحه المسكونة .. وفتشت عن الحقيقة ، فقد داعبت خيالي آمال عراض : « النبق الحلو .. الظلال الوارفة .. الخلوات الهنية .. » لكن هذه الحقيقة بدت لي مخيفة في سني تلك فقد كانت مقرونة « بالمعجوز المجنونة ، وشعرها المنفوش ، واظافرها الحادة » .

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبى

كنت - وأنا صغير - مولما بالسطو على شجرة النبق القابعة قرب دار « مدير الناحية » المتاخمة لدارنا .. وكانت خطط سطوي تدبر دون جلبه وضوضاء ، فقد كنت أخاف قسوة « مدير الناحية » ، فقد ذقت يوما علقه ساخنة من يده . وكنا نستبق نحن الصغار - والمنافسة تملأ نفوسنا - مبكرين لجمع سقط النبق ولم أذكر قط ان الرهبة والخوف صداني عن مقاماتي !

لكن زيارتي لهذه الشجرة انقطعت دون سابق انذار .. كان والذي ليلئلك قد حذرني الاقتراب من الشجرة ، وقد حاولت ان أحتج ، لكن ما قصه والذي من حكايات جملتي ارتجف ، والصق رأسي الصغير بصدر أُمي الحنون .

لم تكن قصص والذي من بنات افكاره ، فقد بدأت الحكايات تخفق جو قريتي الصغيرة .. بدأ الرعب يبسط جناحه على كل زاوية ، فقد انقطعت زيارات « شهاب » مستخدم المستوصف عنا ، وقد احزنني ذلك كثيرا ، لاني اعتدت واهلي سماع قصص « الف ليلة وليلة » تخرج حلوة من فم « ابي مهدي » . وقد قال شهاب بأنه سمع عند اقترابه من الشجرة ليلا صوتا اجش يناديه ، ولم يشاهد شيئا . وأدرك « أبو مهدي » أن ذلك الصوت صادر من عفرية أو غيره !

ومن يومها بدأت القصص والاساطير تنقلت دون تحفظ وكانها كانت محبوسة في « مقمق » .. وكسابت تفوح منها رائحة الذعر والفزع .

حتى ان الصبية يعقدون حلقات الرهان فيما بينهم .. وكنت أرى الصفرة والحيرة تعلوان الوجوه عندما يذكر رهان الشجرة ، حتى انني كنت انتظر ان يتقدم « حمادي » للرهان فقد اعتاد ان يجوب البساتين في الليل خاصة وان حلقتنا كانت معقودة قرب حشد من الفتيات يتحسمن للرهان بينهن « كمييلة » محبوبة « حمادي » .. لكن « حمادي » هو الاخر بدأ يلصق جسمه بحلقتنا وكنت أحس اضطراب كلماته عندما كان يتمتمها !

وكبرت الاساطير .. ومع كبرها كان يكبر فزعي من هذه الشجرة، ومعها ايضا كان يزداد فضولي لرؤية « العلوية المعجوز » ذات الاضراس الطويلة والشعر المنفوش التي صورتها حكايات الناس البسطاء في قريتي . وكنت انصور هذه المعجوز - في يقظتي واحلامي - قابعة قرب الشجرة تنوح ، فقد قال الناس بأن هذه المعجوز هي الشجرة نفسها ، وقد قطع احد الحكام غصنا كبيرا منها يوما ما ، ولذا فهي تبكي « ابنا المقطوع » ويومها علل الناس في قريتي الصمغ السندي يخرج من جذعها المتين ، بأنه الدم المسفوح .

وصدقت الحكايات وقتها كاملة !!

لقد طارت هذه الحكايات من كل فم وما عاد شخص لا يصدق ..

يسر ((الآداب)) ان تعلن ان عددها السنوي الممتاز سيكون في هذا العام خاصا بـ

فلسطين

فلسطين : الارض المقدسة التي يستعد العرب اليوم ، في جميع اقطارهم ، لاسترجاعها من الصهيونية المقتنصة ، والتي طبعت النتاج الادبي ، في السنوات الخمس عشرة الماضية ، بطابعها المأساوي العنيف . و ((الآداب)) تدعو ادباء العربية ، من دارسين وقصاصين وشعراء ، الى المشاركة في تحرير هذا العدد الضخم الذي سيصدر في مطلع اذار (مارس) القادم ١٩٦٤ .

ساقها ، وصارت حديقة المدير مزارا للنساء يلتمسن من الشجرة « المراد » !!

و اذا لم ينهيا من يضيء السراج فسيبقى الدرب مظلما .. ستظل الحقيقة يتيمة تنخب ، ويظل رأسها يرتطم بالباطيل ، طالما ان الخوف يسطر جناحيه ولا شجاع يصطاده .

لقد كادت ان تصبح قصة هذه الشجرة حقيقة في كل رأس ، لكن شيئا في الموقف قد تبدل :

كان قد نقل الى الناحية مدير جديد ، أزعجته ضوضاء الزائرات ، فمنع الناس من الاقتراب الى الشجرة او زيارتها . كما وانه عمد الى قطع هذه الشجرة ، ونشرت سيفانها مقاعد للحديقة .

ولا ادري الى الان هل فعل المدير الجديد ذلك ليجمل منظر حديقته ام ليزيح هذا الظل الثقيل الذي أشغل الناس ؟

و كنت من الفرخين بهذا العمل ، فقد عدنا الى سهراتنا ومرحلتنا .. عاد « ابو مهدي » يسمنا قصصه الحلوة .. الا حمزة القصاب ، فلم تتسن له سرفة الطابوق هذه المرة فقد عين حراس للحديقة . لقد بدأت استنطم الحقيقة ولذتها ، فمع الحقيقة لا خوف ولا غموض .. لقد بدت تلامس هذه الشجرة لا تعدو كونها خدعة كنت قد عشتها جزءا من حياتي ..

لقد أنساني هذا الفرع كل شيء حتى انني كدت انسى بان المدير قد ترك فرعا ناميا من تلك الشجرة وربما سيكون هذا الفرع فيكون أكصله « بعبعا » يخيف البعض ، او مزارا يلوذ به غيرهم .

فهد الاسدي

المراق - قضاء الجزائر

والبحث عن الحقيقة يتمخض فيلد انطباعات واستنتاجات « عرجاء » ان رافقه الخوف والغموض . واخذ عقلي يناقش لكن هذا النقاش انتج شيئا اسمه « لا شيء » . وكانت ليلة عندما أفاق كل من في الدار فرعا : كان اخي الكبير ينام محمولا على ايدي جارنا الطيب « ابي وهاب » وزوجه .. وحاولت ان اقترب لاوقظ اخي من هذا الرقاد العنيف لكن ذلك الوجه المغمض الاصفر كان يكتنفه غموض أخافني !..

كانت امي تولول نائحة : « لقد أوصيتك - يا بني - ان لا تطيل بسهرتك » .

وعلقت أم صبار قائلة : « عليك سور سليمان . هل لاقتك الجنية ؟ » .

وحاول والدي ان يستدعي الطبيب لمعاينة اخي لكن امي أشارت بان الشيخ « حمد الله » أفهم .

وجلس الشيخ ليلتذ يقرأ ويتمتم بكلمات غريبة ، ويرسم دوائر ، ثم بدأ يصرخ بوجه اخي صرخات ملأت الجو رعبا ، وكانت هذه الصرخات كافية لان توقظ مومياء لا آدميا فحسب ..

وعندما تنبه اخي اخذ الشيخ حمد الله يهز رأسه بفرور ظاهر ويمسح شاربه بانفة ..

وكان علي ان اصدق . ها هو اخي نفسه بعد ان تنبه يروي لنا عن عجوز الشجرة الخيفة ، عن انيابها السود ومخالبتها الطويلة ، وعن تهديداتها له وركضها وراءه !

وتعمد الناس وضع البخور جوار الشجرة ، ووضع الحناء على